كتابه «لاوكون» ، وبحثه عن المجاز فى اللغة ونشأته ووظيفته يقوم- كما صرح هو نفسه- على رأى الفيلسوف الإنجليزى «لوك» فى هذه القضية . ولكن هذا المنهج لم يفقد المازنى أصالته التى يستمدها من قدرته الفائقة على تمثل ما يقرأ والإفادة منه والإضافة إليه وتطبيقه فى دراساته الأدبية ، وفى معالجته لمشكلات التعبير فى أدبنا المعاصر على نحو ما سنفصله .

نظرية الوصف والتصوير:

وبحثه عن الوصف والتصوير مثلا نراه يستهله بوصف ابن الرومى الشهير لصانع الرقاقة ، ثم يستطرد منه ليفصل النظرية العامة التى فصلها «لسنج» فى كتابه «لاكون» وقال فيها : إن الشعر الوصفى هو الذى يستطيع أن يصور الحركة المتتابعة فى الزمن ، على حين أن التصوير بالريشة لا يستطيع أن يلتقط إلا منظرا ساكنًا أو شبه ساكن فى مكان ما . ويأخذ المازنى بعد ذلك فى التوليد من هذه الفكرة العامة توليدات يمكن أن نقره على بعضها مثل هجومه على الأمير سيونيزم أو الانطباعية فى التصوير بالريشة ، باعتبار أن التصوير الناجح الجميل هو الذى يصور الأشياء فى ذاتها لا وقعها فى نفس الفنان ذلك الوقع الذى يرسمه بعض فنانى هذا المذهب أحيانًا فى صور بشعة مشوهة . على حين أن الشعر الوصفى يستطيع أن يصور تلك الانطباعات أروع تصوير مع وصفه للمرئيات ، ومن خلال هذا الوصف ، ويرجع المازنى تخليط أصحاب المذهب وعبثهم إلى أنهم قد خرجوا بالتصوير عن مجاله لينافسوا مجال الشعر فساء مسلكهم وساء فنهم . ولو أنهم أدركوا حدود وسيلتهم التعبيرية والتزموا تلك الحدود لما ضلوا هذا الضلال البعيد . على حين لا نستطيع إقراره على بعض التوليدات الأخرى